

رمضان

شهر الاقبال على القرآن



لفضيلة الشيخ :

عز الدين رمضان

احشر نفسك يا عبد الله الصائم مع القوم
المقبلين على كتاب الله تلاوة وحفظاً، وسماعاً
وإصغاءً، وتعلماً وتعلّماً، وتذكراً وتعبيراً، ولا
تكن هلعاً له معرضاً عنه فيلحقه الخسران
وكتبت مع القوم الذي قال فيهم المولى جل وعلا
على لسان رسوله: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ
قَوْمِي أَخَذُوا عَذَابَ الْقُرْآنِ مَهْجُورًا)
[الفرقان: ٣٠].

- ١- العبارة عليها: أقلها وزن.
- ٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (١/٣٤٤).
- ٣- متفق عليه البخاري (٢٢٤/٤) ومسلم رقم الحديث ١١٧٤.
- ٤- رواه ابن ماجه في سننه باب ما جاء في فضل شهر رمضان رقم ١٦٤٤ وحسن إسناده في صحيح الترغيب رقم ٩٨٦.
- ٥- شرح السنة للبغوي (١/٢٧٤).
- ٦- حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه في فضائل القرآن باب خيركم من قطع القرآن.



الصائم يتوباً له في هذا الشهر جل هذه
المذكورات، ويوفى لكثير الأعمال والطاعات،
فهو في شهر صفة الله تعالى فيه الشياطين
وضاعف فيه مواهب الإحسان، وفتح فيه أبواب
الخير والغفران، وأعطى السبق فيه لتلاوة
القرآن، شهر تؤدى فيه التراويح، المساجد فيه
معشورة، ونعم الله فيه منشورة، فيه تعق
القلب من النار، وفيه يتزود المقيم في هذه
الدار، عمرة في أيامه تجعل حجة في الأجر
والثواب، ويقام ليلة من لياليه تفضل ألف شهر
كما هو مرقوم في الكتاب، قال صلى الله عليه
وسلم: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكَ وَفِيهِ لَيْلَةٌ
خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ خَرَمَهَا فَقَدْ حَرَّمَ الْخَيْرَ
كُلَّهُ، وَلَا يَحْرُمُ خَيْرٌهَا إِلَّا مُحْرَمٌ» (٤).
ومن أعظم القربات وأجل الطاعات التي يقرب
بها إلى الله في مثل هذا الشهر، تلاوة كتابه
وتدبر آياته قال خباب بن الأثر رضي الله عنه :
«تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّهُ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ
بِشَيْءٍ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ» (٥) فكيف يحرم
مؤمن نفسه من الشغى بكلام الله رب العالمين،

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم - وفقك الله - أن من فضائل هذا الشهر
العظيمة، التي هي من نعم الله الجسيمة إنزاله
لكتابه المجيد هدى للناس، وشفاء للمؤمنين،
يهدي للنبي هي أقدم، ويدهو إلى سبيل الرشاد
في ليلة مباركة من شهر رمضان الخير، قال
تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ
مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [البقرة: ١٨٥].

فوصف شهر رمضان بأنه أنزل فيه القرآن،
وبنى ما بعده عليه بحرف الفاء التي تقيد
السببية والتعليل (فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ)، وهذا يفيد بطريق الإيحاء إلى العلة،
وهي أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر
الصوم هو إنزال القرآن فيه، وذلك أكبر نعمة
من الله على هذه الأمة الطيبة المباركة، ألا ترى
أن الله حين عده نعمة على الإنسان بدأ بذكره
فقال: (الَّذِينَ عَلِمَ الْقُرْآنَ حَلَّى الْإِنسَانِ عَمَّةً
الْبَيِّنَاتِ) [الرحمن: ٥-١].

«فقدم من تعمة الدين ما هو في أعنى مراتبها،
وأقصى مراقبها، وهو إبعاده بالقرآن وتنزيله
وتعليمه، لأنه أعظم وحى الله ربنا، وأعلامه
منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثراً، وهو سنن
الكتب السماوية ومصداقها، والعيار عليها» (١)،
وأخر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه ليعلم
أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علماً بوجهه وكنهه،
وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما
يميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو
المنطق الفصيح المعبّر عما في الضمير» (٢).
وعليه فإذا علم أن أكرم يوم عند الله هو الشهر
الذي أنزل فيه القرآن، فيجب أن يعتنى به حق
الاعتناء، وأن يخص بعمل زانه، ويشهد لهذا ما
جاء في تحري ليلة القدر وتخصيصها بيزيد من
العمل والاجتهاد في الطاعة حيث كان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد منزله
وأجأ نبيه وأيقظ أهله (٣)، والنعمة إذا حصلت
للمسلمين استوجب مزيد من العمل والاجتهاد،
شكراً لله وقياماً بحق النعمة، كما أمر البراء
جل وعلا عباده أن يذكره بالحمد والشاء لما

وقفاً إليه من أداء العبادة الفراغ منها، قال
تعالى بعد تمام نعمة شهر الصيام: (وَلْيَتَمَلَّؤُوا
الْيَوْمَةَ وَلْيَتَذَكَّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاهُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَشْكُرُونَ) [البقرة: ١٨٥]، وقال بعد تمام
مناسك الحج: (فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْكُمْ فَرَائِذُ اللَّهِ
فَافْعَلُوا مَا بَأْتُمْ أَفْشَرُ) [البقرة: ٢٠٠]،
وقال تعالى بعد الفراغ من أداء الجمعة: (فَإِذَا
قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَاتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ وَأَمْسُوا مِنْ
قُرْبِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)
[الجمعة: ١٠]، وقال بعد انقضاء المكتوبة:
(فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهَا بَيِّنَاتٌ مِّنْ قُرْآنِهِ
وَعَلَىٰ جَوَافِحِهِ) [النساء: ١٠٣].

وقد تقرر أن مضاعفة أجر الأعمال تكون
بأسباب منها شرف المكان، كالامعة التي يترك
الله فيها من المسجد الحرام ومسجد النبي صلى
الله عليه وسلم، ومنها شرف الزمان فإن
الأعمال تضاعف في الأئمة الفاضلة كعشر ذي
الحجة ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة القدر،
ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وخلص
نيتيه وصفاه قلبه وكثرة تقواه، ومعلوم أن